

## باب السنة

# فضل الصيام

إعداد: زكريا حسيني

أخرج البخاري ومسلم في «صحيحيهما» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي، وأنا أجزي به، والصيام جنة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إني امرؤ صائم، والذي نفس محمد بيده لخلُوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح، وإذا لقي ربه فرح بصومه».

### من فوائد الصيام

قال ابن القيم رحمه الله: المقصود من الصيام حبس النفس عن الشهوات، وفضامها عن المألوفات، وتعديل قوتها الشهوانية، لتستعد لطلب ما فيه غاية سعادتها ونعيمها، وقبول ما تزكو به مما فيه حياتها الأبدية، ويكسر الجوع والظما من حدتها وسورتها، ويذكرها بحال الأكباد الجائعة من المساكين، ويُضيق مجاري الشيطان بتضييق مجاري الطعام والشراب، فهو لجام المتقين، وجنة المحاربين، ورياضة الأبرار المقربين، وهو لرب العالمين من بين سائر الأعمال، فإن الصائم لا يفعل شيئاً، وإنما يترك شهوته وطعامه وشرابه من أجل معبوده، فهو ترك محبوبات النفس وتلذذاتها إثارةً

### هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في خمسة مواضع من

صحيحه بالفاظ متقاربة عن أبي هريرة رضي الله عنه:

هذا الموضع عن أبي صالح عنه، وموضع قبله في الصحيح عن الأعرج عنه، والموضع الذي بعد هذا عن ابن المسيب عنه، والذي بعده عن أبي صالح عنه، والموضع الأخير عن محمد بن زياد عنه.

وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة، وعن الأعرج عنه، وعن أبي صالح عنه، وفي كل موضع من هذه المواضع في البخاري ومسلم الألفاظ متقاربة، وفي بعضها زيادات نشير إليها عند شرحها فيما يلي إن شاء الله تعالى:

خص الصيام لأنه ليس يظهر من ابن آدم بفعله وإنما هو شيء في القلب. وثانيها: أن المراد بقوله: «وأنا أجزي به» أنني أنفرد بعلم مقدار ثوابه وتضعيف حسناته، وأما غيره من العبادات فقد اطلع عليها بعض الناس.

وثالثها: أن معنى قوله: «الصوم لي» أنه أحب العبادات إليّ، والمقدم عندي.

ورابعها: أن الإضافة إضافة تشريف وتعظيم كما يقال: بيت الله، وإن كانت البيوت كلها لله.

قال الزين بن المنير: التخصيص في موضع التعميم في مثل هذا السياق لا يفهم منه إلا التعظيم.

خامسها: أن الاستغناء عن الطعام وغيره من الشهوات من صفات الرب جل جلاله، فلما تقرب الصائم إليه سبحانه بما يوافق صفاته أضافه إليه، وقال القرطبي: معناه أن أعمال العباد مناسبة لأحوالهم إلا الصيام فإنه مناسب لصفة من صفات الحق.

سادسها: أن المعنى كذلك، لكن بالنسبة للملائكة لأن ذلك من صفاتهم. سابعها: أنه خالص لله وليس للعبد فيه حظ، قاله



لمحبة الله ومرضاته، وهو سر بين العبد وربّه لا يطلع عليه سواه، والصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتها، ويعيد إليها ما استلبته منها أيدي الشهوات، فهو من أكبر العون على التقوى كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال النبي ﷺ: «الصوم جنة». انتهى ملخصاً من «زاد المعاد» (٢٨/٢، ٢٩).

### معنى تخصيص الصيام لله من بين جميع العبادات

قال ابن حجر في «الفتح»: وقد اختلف العلماء في المراد بقوله: «إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به»، مع أن الأعمال كلها له سبحانه وهو الذي يجزي بها، [اختلفوا]

على أقوال: أحدها أن الصيام لا يقع فيه الرياء كما يقع في غيره، حكاة المازري، ونقله عياض عن أبي عبيد، ولفظ أبي عبيد في غريبه: قد علمنا أن أعمال البر كلها لله وهو الذي يجزي بها، فنرى - والله أعلم - أنه إنما

الخطابي، هكذا نقله عياض وغيره، فإن أراد بالحظ ما يحصل من الثناء عليه من أجل العبادة رجع إلى المعنى الأول، وقد أفصح بذلك ابن الجوزي، فقال: المعنى ليس لنفس الصائم فيه حظ بخلاف غيره من العبادات. ثامننا: سبب الإضافة إلى الله أن الصيام لم يعبد به غير الله بخلاف غيره من العبادات.

تاسعها: أن جميع العبادات تُؤفَى منها مظالم العباد إلا الصيام، وهذا معترض عليه بحديث المفلس: «المفلس الذي يأتي يوم القيامة بصلاة وصدقة وصيام، ويأتي وقد شتم هذا وضرب هذا». الحديث. وفيه: «فيؤخذ لهذا من حسناته ولهذا من حسناته، فإذا فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من سيئاتهم فطرحت عليه ثم طرح في النار».

عاشرها: أن الصوم لا يظهر فتكته الحفظة كما تكتب

سائر الأعمال، واستند

قائله إلى حديث واه

جداً، ويكفي في رد

هذا القول الحديث

الصحيح في كتابة

الحسنة لمن هم بها

وإن لم يعملها.

قال ابن حجر:

فهذا ما وقفت عليه

من الأجوبة، وقد

بلغني أن بعض العلماء

بلغها إلى

أكثر من هذا،

وأقرب الأجوبة التي

ذكرتها إلى الصواب الأول

والثاني، ويقرب منهما الثامن

والتاسع. انتهى من «الفتح»

باختصار (١٢٩/٤ وما بعدها).

قلت: هكذا قال، مع أن التاسع

كما رأيت عليه اعتراض، والأولى من

التاسع الجواب الثالث. والله أعلم.

### معنى الصيام في الشريعة وفي اللغة !!

قال ابن عبد البر في «الاستذكار»:

الصيام في الشريعة الإمساك عن

الأكل والشرب والجماع، هذا فرضه

عند جميع الأئمة، وسنته: اجتناب

قول الزور واللغو والرفث.

وأصله في اللغة الإمساك مطلقاً،

وكل من أمسك عن شيء فهو صائم

منه، ألا ترى قول الله تعالى: ﴿إِنِّي

نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ

أَكَلَمَ الْيَوْمَ بُسِيًّا﴾

[مريم: ٢٦].

وقال: والصوم

في لسان العرب

الصبر. قال ابن

الأنباري: «إنما

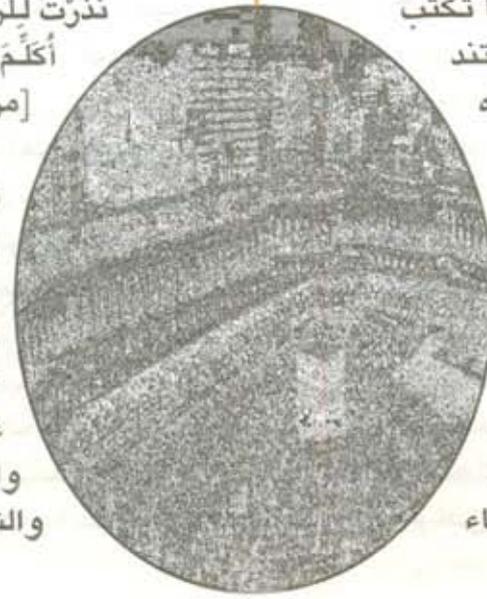
سمي الصوم صبراً

لأنه حبس النفس

عن المطاعم

والمشارب والمناكح

والشهوات».



وقد  
يسمى الصائم  
سائِحًا، ومنه قوله  
تعالى: ﴿السَّائِحُونَ﴾  
يعني: الصائمين المصلين، ومنه  
قوله تعالى: ﴿عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ﴾.  
وللصوم وجوه في لسان العرب.

### الصيام جنة من النار

وقوله: «جنة» هي الوقاية والستر  
عن النار، وحسبك بهذا فضلاً  
للصيام، وروي عن عثمان بن أبي  
العاص أن النبي ﷺ قال: «الصيام  
جنة يستجن بها العبد من النار».  
[أخرجه ابن ماجه في الصيام  
(١٦٣٩)].

وقوله: «فلا يرفث»: الرفث هنا  
الكلام القبيح والشتم والخنا والغيبة  
والجفاء، وأن تغضب صاحبك بما  
يسوؤه والمراء، ونحو ذلك كله.

ومعنى: «لا يجهل» قريب مما  
يصيبنا من الشتم والسباب، وكقول  
القائل:

ألا لا يجهلن أحد علينا

فجهل فوق جهل الجاهلينا  
أقول: وفي الرواية التي معنا: «ولا  
يصخب». قال ابن حجر: كذا للأكثر  
بالصاد المهملة، الساكنة بعدها خاء  
معجمة، ول بعضهم بالسين بدل الصاد  
وهو بمعناه، والصخب الخصام  
والصياح، وقد تقدم أن المراد النهي  
عن ذلك تأكيده حال الصوم، وإلا فغير

الصائم منهي عنه أيضاً. اهـ.  
**هل يقول الصائم: إني صائم؟**

قال ابن عبد البر رحمه الله: وأما  
قوله: «فإن امرؤ قاتله أو شاتمه  
فليقل: إني صائم» ففيه قولان:  
أحدهما: أن يقول للذي يريد  
مشاتمته ومقاتلته: إني صائم  
وصومي يمنعني من مجاوبتك لأنني  
أصون صومي عن الخنا والزور،  
وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال:  
«من لم يدع قول الزور والعمل به  
فليس لله حاجة في أن يدع طعامه  
وشرابه». [أخرجه البخاري، وأحمد،  
وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه،  
وابن خزيمة، والبيهقي].

والمعنى الثاني: أن الصائم يقول  
لنفسه: إني صائمٌ يا نفسي فلا سبيل  
إلى شفاء غيظك بالمشاتمة، ولا يعلن  
بقوله: إني صائم كي لا يكون رياءً.

### خُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطِيبٌ مِنْ رِيحِ الْمَسْكِ

وقوله: «لخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ» يعني:  
ما يعترية في آخر النهار من التغير،  
وأكثر ذلك في شدة الحر [أي الرائحة  
التي تنبعث من الفم، وقد لا يطيقها  
بعض الناس].

وقوله: «أطيب عند الله من ريح  
المسك»: يريد أزكى عند الله تعالى  
وأقرب إليه من ريح المسك عندكم،  
يحضهم عليه ويرغبهم فيه، وهذا في  
فضل الصيام وثواب الصائم. انتهى  
كلام ابن عبد البر بتصرف:

«الاستذكار» (٢٤٢/١٠) وما بعدها.  
وقال ابن حجر: ويؤخذ من قوله:  
«أطيب من ريح المسك» أن الخُلُوفَ  
أعظم من دم الشهادة؛ لأن دم الشهيد  
شبهه ريحه بريح المسك، والخُلُوفُ  
وصف بانه أطيب، ولا يلزم من ذلك أن  
يكون الصيام أفضل من الشهادة لما لا  
يخفى.

### فرح الصائم بصومه ويفطره

وقوله: «للصائم فرحتان يفرحهما  
إذا أفطر فرح» زاد مسلم: «بفطره».  
قال القرطبي: معناه: فرح بزوال  
جوعه وعطشه، حيث أبيع له الفطر،  
وهذا الفرح طبيعي وهو السابق  
للفهم، وقيل: إن فرحه بفطره إنما هو  
من حيث إنه تمام صومه وخاتمة  
عبادته وتخفيف من ربه ومعونة على  
مستقبل صومه.

قُلْتُ- القائل ابن حجر-: ولا مانع  
من الحمل على ما هو أعم مما ذكر،  
ففرح كل أحد بحسبه لاختلاف  
مقامات الناس في ذلك، فمنهم من  
يكون فرحه مباحًا وهو الطبيعي،  
ومنهم من يكون فرحه مستحبًا وهو  
من يكون سببه شيء مما ذكر.

قوله: «وإذا لقي ربه فرح بصومه»  
أي: بجزائه وثوابه، وقيل: الفرح  
الذي عند لقاء ربه إما لسروره بربه  
أو بثواب ربه على الاحتمالين.

قُلْتُ- القائل ابن حجر-: والثاني  
أظهر؛ إذ لا ينحصر الأول في الصوم،  
بل يفرح حينئذ بقبول صومه وترتب  
الجزاء الوافر عليه. انتهى من «فتح

الباري»  
(١٤٢/٤).

### شأن الصوم عند الله عظيم

أخي المسلم: وهكذا ترى في  
هذا الحديث برواياته المختلفة  
فضل الصوم كعبادة من العبادات  
التي يتقرب بها العبد إلى ربه  
سواء كان فرضًا أم نفلًا، فشانه عند  
الله عز وجل عظيم.

كما اشتمل الحديث على مجموعة  
من الآداب الشرعية التي ينبغي  
للمسلم مراعاتها والتأدب بها حتى  
يسمو إلى الخلق الإسلامي الرفيع،  
ثم يبين رسولنا الكريم صلوات الله  
وسلامه عليه ما للصائم من منزلة؛  
حتى خُلُوف فمه، والتنويه بفرحه  
عند فطره، وذلك يصدق على فطر كل  
يوم على حدة كما يصدق على فطر  
آخر الشهر، كما يشير إلى فرحه يوم  
القيامه عندما يرى جزاء عمله  
وخاصة الصيام الذي صامه إيمانًا  
واحتسابًا للأجر عند الله تبارك  
وتعالى.

نسال الله عز وجل أن يجعلنا  
ممن تتقبل صلاتهم وصيامهم وسائر  
أعمالهم، كما نسأله أن يأخذ  
بنواصينا إلى الحق، وأن يجنبنا  
الزلل ويقينا الفتن ما ظهر منها وما  
بطن. إنه ولي ذلك والقادر عليه.  
والحمد لله رب العالمين.